هل يرد غير الأوروبي على الآخر بلغته؟ (روايتي "زجاج مكسور" و"في انتظار البرابرة" تعانقٌ لروح الهوية الأفريقية في الخطاب ما بعد الكولونيالي)

من إعداد الدّكتورة: ابتسام بوطي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

مداخلة في المؤتمر الدولي: الأدب المقارن والدراسات الثقافية

جامعة: عباس لغرور خنشلة/ الجزائر

انعقد يومي: 07-08 ماي 2023

ملخص:

يقول محمود درويش: "قد يجد الباحثون عن الجوهر البشري مقاعد كافية للجميع..هنا هامش يتقدم أو مركز يتراجع، لا الشرق شرق تماما ولا الغرب غرب تماما، فإن الهوية مفتوحة للتعدد لا قلعة أو خنادق)

يستأثر موضوع الهوية حاليا بنصيب وافر من اهتمام المفكرين، فلم يعد كواقعة فكرية موضوعا للبحث الفلسفي فقط، وإنما غطى على المجال المعرفي للعلوم الإنسانية والاجتماعية برمته، وأكثر من ذلك فإن الهوية أصبحت استشكالا يرتبط بكل ثقافة.

تهدف هذه الدراسة -معتمدة على المنهج الوصفي ومتبعة آليات التحليل السردي- إلى البحث عن مسألة الانتماء والهوية الأفريقية في الخطاب ما بعد الكولونيالي، إذ تشتغل هذه الدراسة على رواية "زجاج مكسور" للكاتب الكنغولي آلان مابانكو قام بترجمة الرواية عادل أسد الميري ورواية "في انتظار البرابرة" للروائي القادم من جنوب أفريقيا جون ماكسويل كوتزي قامت بترجمتها ابتسام عبد الله .

تحاول هذه الدراسة أيضا إثبات أن الخطابات الأفريقية المكتوبة بلغة الآخر (فرنسية، انجليزية، برتغالية) تهدف أساسا إلى تحطيم الأنساق الثقافية الغربية عن الآخر الزنجي، وهو تحطيم يقوم الزنوج به باعتبارهم الهامش ضد تمثيلات المركز، فالزنوج يريدون إسماع أصواتهم ورواية تاريخهم

الخاص بأنفسهم بدل أن يُروى عنهم، وفي نهاية المطاف نقصد إلى أن الروايات الأفريقية ما بعد الكولونيالية التي جاءت بلغة الآخر إنما جاءت كتعبير عن هويتهم الثقافية.

الكلمات المفتاحية:

زنوجة، أدب إفريقي، هوية، سرد ما بعد كولونيالي.

ABSTRACT:

Mahmoud Darwish says: "Those looking for the human essence may find enough seats for everyone... Here a margin advances or a center retreats. The East is not completely East, or the West completely West. Identity is open to pluralism, not a castle or trenches."

The issue of identity currently occupies a large share of the attention of thinkers, as it is no longer as an intellectual fact a subject of philosophical research only, but has covered the entire cognitive field of humanities and social sciences, and more than that, identity has become a problem associated with every culture

This study aims, based on the descriptive method and following the mechanisms of narrative analysis, to search for the issue of belonging and African identity in the post-colonial discourse. South African novelist John Maxwell Coetzee translated by Ibtissem Abdullah

This study also attempts to prove that African discourses written in the language of the other (French, English, Portuguese) mainly aim at destroying Western cultural systems about the Negro other, a destruction carried out by Negroes as the margin against representations of the center, as Negroes want to make their voices heard and tell their own history instead of It is narrated about them, and in the end we mean that the post-colonial African narratives that came in the language of the other came as an expression of their cultural identity

How did the post-colonial African discourse come about? Was the African writer able to change the brutal image of the negro, which was represented in the discourses of Western centralism? Can a non-European respond to the other in his own language? What is the opinion of comparative literature on anti-Western imperialist discourses? And does he acknowledge the boundaries of literature that stand on the margins of the central discourse and its representations? Does comparative literature separate literature in its languages or stand in opposition to what the French school devoted?

تقديم

عانت الشعوب الإفريقية لفترة ليست بالقصيرة من المستعمرات الأوروبية، ما أدى إلى زعزعت بنية المجتمع الإفريقي سياسيا، اقتصاديا، ثقافيا وحتى فكريا، ما أدى إلى انقسام الأفارقة إلى ثلاثة أقسام: أما القسم الأول فهي الفئة المؤيدة والمناصرة للاستعمار، وقد حاولت بإلحاح الدخول إلى عالم البيض وخلع الثوب الأسود من عادات وقيم وثقافة زنجية، أما القسم الثاني فهم الأفراد الذين تمسكوا بروح الهوية الوطنية والذات الإفريقية ودافعوا بكل شجاعة عن أفريقيا بعاداتها وتقاليدها وقيمها، كما حاولوا العودة إلى التراث الإفريقي بحثا عن جذور أمتهم مدافعين عن روحها وتاريخها وأصالتها، رفضوا المستعمر وتمردوا على كل أساليبه القمعية، أما القسم الثالث فهي الفئة التي وقفت في المنتصف تُبهرها حضارة أوروبا ويغريها كل ما هو أبيض لكن تعتريها روح الأصالة الإفريقية ويشدها إحساس الانتماء لهذا الوطن ويتغلب عليها حب الحرية الإنسانية، هذا الانقسام إنما هو نتيجة حتمية لما كرسته ثنائية المستعمر(عبد/ سيد).

وقد عبر كتاب إفريقيا في نصوصهم السردية رغم بساطتها الفنية وسذاجتها في بعض الأحيان عن مشاعرهم المتفاوتة في الانتماء لإفريقيا السوداء وكان الهاجس الأول لهذا الشعور هو اللون وهو أيضا ما كرسه ورسّخه الاحتلال الأوروبي لشعوب إفريقيا في فترات بعيدة من الزمن (أبيض/أسود).

فجاءت الخطاب الروائي الإفريقي كسجل عبّر عن روح الوطن وما عاناه الزنوج داخل البلدان الإفريقية وخارجها بسبب اللون الأسود والتبعية السياسية والثقافية، وكان هاجس الهوية والذات والانتماء محورا أساسيا تدور حوله الروايات الإفريقية وتيمة تنهل منها الكتابات السردية ومنبرا يدعوا من خلاله الكتاب الأفارقة إلى إعادة النظر في هذه الرقعة الجغرافية واحترام قاطنيها والاعتراف بكيانها البشري ووجودها الإنساني وفكرها الثقافي.

إشكالية البحث:

- ما هو الأدب الإفريقي؟ وكيف ارتبط بحركة الزنوجة؟
- كيف تحول الأدب المقارن من البحث في التأثير إلى صراع الثّقافات؟
- كيف تمثلت الهوية في النص السردي الإفريقي ما بعد الكولونيالي؟
- وهل استطاع الإفريقي أن يرد على الأوروبي بلغته؟

قال شاعر الإنجليز شيكسبير: (أكون أو لا أكون هذا هو السؤال) فقال زعيم الزنج: (لا ليست جيدة فنحن غير منشغلين حاليا بالإجابة على هذا السؤال بل إننا وصلنا إلى الإجابة المطلوبة منذ ثلاثة وعشرين عاما، أي منذ أن وصلنا إلى السلطة" زجاج مكسور آلان مابانكو

أولا:الزّنوجة عنوان الكتابة الإفريقية:

يُعدُّ الأدب الأفريقي أيقونة لشعب القارة السمراء وقد مهَّدت لظهوره أو بالأحرى محاولات ظهوره عدة دوافع اقتصادية وسياسية واجتماعية، وإننا نتحدث عن هذه الظروف لأنها كانت الدافع الأول ومثّلت بؤرة الحَكي في الخطاب الأفريقي خاصة –ما بعد الكولونيالي- حيث وجد الأفريقي نفسه مُغيبا عن الساحة الفكرية والثقافية نتيجةَ الظُّروف الاقتصادية والسياسية –الاستعمار- التي مرت بها البلدان الأفريقية، وقد ظهرت فكرة الزّنوجة أو الكتابة الزنجية كحركة فكرية ثقافية أراد مؤسسوها التعريف بهذا الأدب أولا ثم إيصال صوت الشّعب الأفريقي المُهمّش إزّاء الأوروبي/المركزي، ثم التأسيس لهوية وطنية تعمل على جمع شظايا الذات الأفريقية المغتربة وتحلم بانتماءٍ وطني أفريقي تعانقا مع الروح الأفريقية التي تصاحب شعوبها أينما حلت.

يعرفها سينغور بأنها " حركة استوعبت مجمل قيم حضارة العالم الأفريقي بأكمله...وهي أول حركة عُنيت بنشر الوعي بمطالبة قارة إفريقية بتميزها الثقافي على نطاق واسع" 1

وربما الدافع الأول كما ذكرنا آنفا كان الظروف السياسية والاقتصادية من جهة، ثم الصورة المختلفة/الوحشية للأفريقي، التي تضمنتها الكتابات الأوروبية فـ"أمام الصورة التي قُدّم بها الزنجي،

1-نبيل أشكروفت وآخرون، الإمبراطورية ترد بالكتابة، النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات، تر شهرة العالم،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2006 ص 253

وأمام التّنميطات والتّحديات التي عُرف بها في الأدب الذي يكتبه البيض عنه، صار لازما على الزّنجي تقديم نوع من المقاومة، وتتمثّل هذه المقاومة في محاولة إبراز هوية أفريقية أصلية تمتاز بميزات معينة وتختلف عن هوية البيض، وتعمل على نقضها وإبراز الاعتزاز بالخصائص الأفريقانية"1

في رواية زجاج مكسور لكاتبها آلان مابانكو قدّم الكاتب مع مجموعة من الشخصيات الحياة المأساوية العنيفة التي عاشها الأفارقة في مختلف أنحاء العالم بسبب اللون الأسود والعرق الأفريقي، كما يصور حجم المعاناة النفسية والقهر والضعف الذي يشعر به الأفارقة أمام المستعمر الفرنسي نتيجة أفكار العبودية والتدني التي غرسها الأبيض في الأسود يقول الروائي على لسان أحد شخصياته: "وفجأة قام الرئيس قائد الجيوش ووقف في وسط القاعة قائلا: أيها الزنوج العبيد لن يعود أي شيء في هذا القصر إلى سابق عهده، لقد سئمت تزغيطكم وتسمينكم أيتها الحيوانات من فصيلة الرخويات..."2

تدور أحداث رواية زجاج مكسور في الكونغو وهي مجموعة حكايات يسردها الناس لبطل الرواية وراويها في الوقت ذاته (زجاج مكسور) أمام أحد المشارب الشعبية، لتجمع أحداث الزنجي ومعاناته وترسم لوحة للمجتمع الأفريقي وما يُميزه من خلال التفاصيل الصغيرة التي تسردها الشخصيات، وكان موضوع الزّنوجة واللون والعرق هو ما اجتمعت عليه كل حكايات الشخصيات ليُعبر الكاتب عن آلام الأفارقة وآمالهم ومشاعر حب الانتماء ومواجهة الرفض والقهر من طرف البيض.

"بينما أنتم في هذا القصر تعيشون في رغد وهناء، في بحبوحة حقيقية من العيش،هه؟ تستحمون في مياه مسبحي الخاص، وتحتسون الشمبانيا من مخزني الخاص، وتشاهدون وأنتم في غاية الانسجام القنوات الفضائية الأجنبية بكل ما فيها من متع في تليفزيوني الخاص، وتأكلون الجاتو والبتي فور من مخبزي الخاص....والآن قولوا لي ما هي الخدمة التي تقدمونها إلي مقابل كل هذا العز؟"3

1-سليم حيولة، استراتيجيات النقد الثقافي في الخطاب المعاصر"من القراءة الجمالية إلى القراءة الثّقافية" دار ميم للنشر، ط 1، الجزائر، 2021، ص170

2-آلان مابانكو، زجاج مكسور، تر عادل أسعد الميري، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، 2014، ص43

3-المرجع نفسه، ص 42

بالرغم من السياسات الفكرية التي انتهجها الاحتلال الأوروبي لمدة ليست بالقصيرة على الشعوب الأفريقية المستعمَرة وما كرّسه من ثقافات امبريالية أراد أن يمحو بها تاريخ أفريقيا وما تحمله من صفات وعادات وتقاليد مشتركة وأعراف حافظ عليها الأفريقي في الوعي الجمعي، كما حاول المحتل طيلة سنوات أن يطبع على شعوبها سمة التّابع الذي لا يستطيع التفكير والمقاومة والرد.

"تلك الأيام السعيدة التي كان المستعمرون لا ينادونهم فيها إلا بعبارة واحدة أو اثنتين، إما بعبارة (أيها الولد) أو بعبارة (أيها الزّنجي العجوز) تلك الأيام التي كان الزّنوج يضعون فيها حول أعناقهم مثل الكلاب ميداليات مكتوبا عليها اسم الزنجي إلى جوار اسم الرجل المستعمر الأبيض الذي يتبعه هذا الزنجي" 1

وجب علينا هنا التعريف بمصطلح التابع subaltern كما جاء في معجم الدراسات الثقافية فهذه "المفردة لها ارتباط كبير بنظرية ما بعد الاستعمار من خلال أعمال مجموعة من الكتّاب الهنود يتقدمهم رانجيت جوها Ranajit Guha وتسمى أعمالهم دراسات التّابع، كما تطور المفهوم من خلال كتابات جيتري سبيفاك. وظفت سبيفاك مقولات التفكيكية والماركسية والنسوية في عملها الشهير: هل يمكن للتابع أن يتكلم؟ وقد كانت إجابتها بالسلب لأن الذات التابعة غير متجانسة ولا يمكن أن تستحضر كصوت موحد، إضافة إلى أنه لا وجود لموقع للذات داخل الخطاب الإنجليزي أو الهندي بإمكانه السماح للتابع بالكلام أو حتى معرفة نفسه، وهذا ما يشكل قمعا مضاعفا"2

فجاء السّرد الأفريقي هنا كخطاب موجه للآخر أولا وكتعبير عن الذات الأفريقية ثانيا، "وكمثال على ذلك يذكر سايمون لي برايس تلك المختارات التي ظهرت كنص يُعبّر عن ثقافة الزّنجي ويجمع عددا من النّصوص والفنون وقد سمّيت بـ "مختارات نورتون للأدب الأفريقي الأمريكي" the Norton Anthology of African Literature والتي نشرت سنة 1997، حيث تضمّنت هذه المختارات حكايات شعبية وأغاني العمل، والأغاني الرّوحية للعبيد في المزارع، والمواعظ، وخطابا من خطب مارتن لوثر كينج، ورسالة كتبها في السّجن، ومقتطفات من سيرة مالكولم إكس الذّاتية وأغاني لفرقة بابلك إنمي الموسيقية"3

1- آلان مابانكو، زجاج مكسور، ص30

2- كريس باركر، معجم الدراسات الثّقافية، تر، جمال بلقاسم، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 2018، ص105.

3-سليم حيّولة، استراتيجيات النقد الثقافي في الخطاب المعاصر، ص170

إن تقديم مثل هذه المجموعة من الأعمال إنما هو بمثابة التعريف بتاريخ أفريقيا الثقافي ونتاجها الأنتروبولوجي وموروثها الاجتماعي الذي طالما زخرت به البلدان الأفريقية ولا تزال إلى يومنا هذا تحافظ على مثل هذا النوع من الحكايات الشعبية والموسيقى والرقصات الخاصة التي تميزت بها الشعوب الأفريقية عن سائر الأقوام.

"تُثير هذه الجرأة في الاختيار شيئا من التّحدّي الذي يطرحه الإنتاج الثّقافي الأفريقي الأمريكي على الفهم التّقليدي للأدب، إذ تُسقط هذه المختارات المنشورة مع قُرص مدمج ملحق بها، الفارق بين ثقافة النّخبة وثقافة العامّة، وتتطلب نظرية للأدب تتسع للموروثات الشّعبية والأشكال الموسيقية والصّوت الشّفهي والمضمون السّياسي المعلن لإنتاج السّود الثّقافي وسياق هذا الإنتاج" 1 هذه النتاجات الأدبية والثقافية تعد بمثابة تحدٍ ومقاومةٍ للصفة النمطية التي طبعت الأفريقي ورسمت صورته في الكتابات الأوروبية ومن بين هذه الصفات نجد: العبد، الوحشي، الرجعي.... وغيرها من الانطباعات التي لازمت شعوب أفريقيا بفعل الخطابات والسياسات الأوروبية.

إن "أدب كفاح السّود متنوع وقديم قدمَ تاريخ العبودية في العصر الحديث، وكان هذا الأدب مشبعا بروح من التّأرجح بين صوت الاحتجاج والإقناع اللّيّن وبين صرخات الغضب والتّحدي، بين الثّورة وبين التوفيق والمصالحة"2

"هؤلاء الأوروبيون ما زالوا يستغلون حقول بترولنا في حين أنهم يخفون عنا الأفكار المتعلقة بأسلوب هذا الاستغلال ثم إنهم يستغلون أخشاب غاباتنا التي تساعدهم على احتمال الشتاء البارد لديهم، وفي مقابل ذلك يأخذون خيرة أدمغتنا بدعوى تعليمهم هناك في مدارسهم العليا...ولكنهم في الواقع يحولون خيرة أدمغتنا إلى زنوج ببشرة بيضاء تنشغل عقولهم بالعلم والحديث، ولكن تنشغل قلوبهم كذلك بحب أوروبا فلا يعودون منها..." 3 ونستطيع القول هنا أن فكرة الزّنوجة "ظهرت لكي تمكّن الأفارقة – الذين لم يكن لهم الحق في الكلام في النّصوص- من إسماع صوتهم وإظهار اختلافهم عن الآخر، تحدّيا للرواية الأوروبية عنهم، وإننا لا نستطيع فهم الزنجية كحركة تُدافع عن الزّنوج ضد أشكال التّمثيل إلا بوضعها في إطارها العام وهو فترة الاستعمار" 4

1-سليم حيولة، استراتيجيات النقد الثقافي، ص 170.

2- دافيد كوت، فرانس فانون، تر،عدنان كيالي، سلسلة أعلام الفكر العالمي المعاصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ط1، بيروت 1971، ص 31-32

3-آلان مابانكو، زجاج مكسور، ص 53

4-سايمون لي برايس، تاريخ الأدب والنقد الإفريقي الأمريكي، تر، رضوى عاشور، في موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي،ص 358

والزّنوجة هنا لا تقتصر فقط عن الكتاب الأفارقة فقد شملت السّود في كل مكان حتى في أمريكا وما يعانيه أصحاب البشرة السوداء من تمييز عنصري واضطهاد وتسلط من الآخر الأبيض، وهكذا فقد "شكّلت كتابة الزّنجي في المجتمع العبودي في أمريكا الكولونيالية فعلا سياسيا يقوّض الثّقافة السائدة، مما جعل كُتّاب قصائد لويتلي نصّا مؤسسا في تراث أدبي انطلق من مهمة فريدة، هي إثبات إنسانية عرق بأكمله"1

فما كان أمام الزّنجي (المُلون) إلا أن يبدأ في إسماع صوته، وتقويض كل المعايير العنصرية القائمة على اللون والعرق، كما حاول نفي الصّفات السّلبية التي يُعرف بها في الكتابات الأدبية للآخر، بمعنى أن الكتابات الأدبية الأفريقية جاءت كرد على الأوروبي الذي شيّد لنفسه قصرا عاجيا، جاعلا من ذاته مركزا محوريا وذلك بسبب القوة الاقتصادية والسياسية التي طالما أيدت الفكر الأوروبي وعملت على إعلاءه وأعطته حق المركزية ودعمته في مقابل العمل على نفي الآخر وتهميشه وتقزيمه أمام السلطة المركزية، وما أطلقه الخطاب الأوروبي عن الزنجي من صفات وأحكام نمطية مسبقة في خطاباته الاستعمارية والصورة الوحشية التي رسمها للأفريقي وصفة العبودية التي لازمته طويلا.

يحاول الكاتب الأفريقي تقويض الامبريالية الثقافية ونفي كل ما نُسب إليه، وإذا بحثنا عن معنى الامبريالية الثقافية cultural imperialism فهي "تتضمن هيمنة ثقافة على أخرى، وعادة ما يتم التفكير فيها على أنّها مجموعة من العمليات التي تنطوي على سيطرة دولة واحدة، أو على أنها الهيمنة العالمية للرأسمالية الاستهلاكية، وتؤكد هذه الحجة على فقدان الاستقلالية الثقافية للأمة المهيمن عليها ونمو التجانس الثقافي أو المماثلة في كل أنحاء العالم...ونتيجة لذلك تعتبر الإمبريالية الثقافية والهيمنة نتيجة لمجموعة من العمليات الاقتصادية والثقافية المتورطة في استنساخ الرأسمالية العالمية"2

1-سايمون لي برايس، تاريخ الأدب والنقد الإفريقي الأمريكي، ص 358

2-كريس باركر، معجم الدراسات الثقافية، ص 99.

1-1من النصوص المهاجرة إلى صراع الثقافات:

إذا بدأنا بالبحث عن رأي الأدب المقارن أو الدراسات المقارنة في الخطابات السردية ما بعد الكولونيالية فإننا نتجاوز حتما مصطلح الأدب المقارن إلى النقد الثقافي المقارن كما جاء في كتاب عز الدين المناصرة، فاهتمام الأدب المقارن لم يقتصر على الآداب المهاجرة في لغاتها المختلفة، كما تجاوز دراسة التأثير والتأثر والعلاقات التاريخية المباشرة، يبحث الأدب المقارن -النقد الثقافي المقارن- اليوم في حفريات الثقافة حتى يجد مساحة أكبر للبحث ،فالصراع الآن ليس قائما على من تأثر بمن؟ أو من أثّر في من؟ الصراع اليوم صراع هويات وانتماءات، صراع خطابات، صراع ثقافات

ذهب عز الدين المناصرة في كتابه النقد الثقافي المقارن إلى أن جوهر إشكالية المثاقفة "أن بلدانا كثيرة في العالم المتقدم، لديها حساسية تجاه الخطر المحتمل للتأثير الخارجي، وليس هذا القلق مقتصرا على الدول النامية وتكون النتيجة: فرض نمط واحد (غزو ثقافي): فالأذواق الاجتماعية الثقافية للبلدان الأجنبية، تنتشر على نطاق واسع، وتغدو مألوفة، وتحظى بإعجاب الكثيرين، ويقلدها الناس، وقد تتخذ كمعايير للسلوك البشري في البلدان التي تتعرض لها"1

أما الغزو الحضاري فهو في رأيه فرضُ رأي عالمي واحد على رأي آخر، أو بالمعنى الآخر فرض ثقافة البلد المستعمِر على ثقافة البلد المستعمَر مع محاولة طمس وإلغاء ثقافة الثاني وتعويض بثقافة بديلة وهي ثقافة الأول –المحتل- ينطوي هذا الفرض طبعا على تفوق الغازي، والشعور بالنقص من جانب ضحايا الغزو، وتفرض على هؤلاء، قيم معينة من جانب الغازي الذي يمتكلهم، ومن جانب المستعمَر ف فيتم الرد على ذلك بتشجيع الثقافة الوطنية وإحياء التراث الشعبي، وتقديم كل ما هو متوارث من عادات وتقاليد في طقوس من الحرية، فالاتصال المتدفق من طرف واحد،أي الارتباط الوثيق بثقافة المحتل والاكتفاء بها كنموذج ثقافي يُسفر في كثير من الأحيان عن تلقين سياسي، ونزعة استهلاكية، وأنماط مفروضة من السلوك الاجتماعي وبالتالي تبعية سياسية وثقافية 2

من الدراسات التي قدمها النقد الثقافي المقارن في خضم هذه الصراعات الثقافية والأيديولوجية هي الصورائية أو دراسة الصورة في النصوص السردية، حيث تجتمع الأيديولوجيات من خلال تشكل

1-عز الدين المناصرة، النقد الثقافي المقارن،منظور جدلي تفكيكي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، عمان ،الأردن، 2005، ص 27.

2-يُنظر عزالدين المناصرة ، النقد الثقافي المقارن، ص 27-28.

صورة الآخر المختلف في رحلة البحث عن الذات أو تقديمها، ومن أبرز الصور في هذا المجال نجد صورة الأنا والآخر، أو الذات والغيرية حيث يبحث الدارس المقارن عن اختلاف الصور التي تطرحها الخطابات الأدبية وبالتالي الكشف عن الأفكار والأيديولوجيات.

"الأيام التي كان الزنوج يعيشون فيها حياة مثل تلك كان المستعمرون الفرنسيون، يقدمون صورتها المتخلفة للأوروبيين في معارضهم الدولية حتى يجعلوا من الزنوج مادة سخرية تُضحك البيض، ويقدموا الزنجيات في صورة قريبة الشبه من صورة تلك الراقصة المدعوة جوزيفين بيكر وهي الأمريكية الزنجية الأفريقية الأصل التي كانت خلال عشرينيات القرن العشرين ترقص في ملاهي باريس الليلية." 1

لذلك فحركة الزّنوجة من بين الدراسات التي اهتم بها النقد الثقافي المقارن فقد جاءت مناهضة للثقافة الامبريالية وما تبعها من طروحات وتنميطات رسّختها مجموعة من العوامل أهمها كما ذكرنا سابقا الاستعمار ، "كما لا يجب إغفال الدّور الماركسي في ظهور تلك الآراء التي جاء بها مفكرو "الزنوجة" حيث تناولوا مجموعة من الأفكار حول التّحرر والانعتاق والحرية ضدّ كل أشكال التّسلّط والهيمنة، بدءا بالمجالات الاقتصادية ثم السياسية والعسكرية، ولذلك فإن الاستعمار يُعتبر جزءا من الإطار والسياق العام الذي يجب أخذه بعين الاعتبار عند تناول مسألة الزنوجة"2

وهكذا تبقى المثاقفة من وجهة نظر (عالمية التحديث المُوجَّه) " مثاقفة تحمل في داخلها مخاطر التغريب وفرض النمط الواحد والرأي الواحد، ويبقى النص الأدبي والنقد الأدبي والنقد الثقافي وغيرها، بعيدة عن أي شرط مثالي لانفتاح مثالي خيالي، لأن البنى الأيديولوجية المسيطرة، هي التي تفرض وجهة نظرها النقدية الواحدة بقوتها الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، وليس النص الأدبي بعيدا عن هذا التغريب."3

1-آلان مابانكو، زجاج مكسور، ص 30.

2-سليم حيولة، استراتيجيات النقد الثقافي، ص 171.

3- عز الدين المناصرة، النقد الثقافي المقارن، ص 28.

كما أن موضوع الهوية الوطنية الذي ارتبط بشكل وثيق بالسرديات الخطابية خاصة مع بداية ظهور الدراسات الثقافية وظهور ما سمي بالخطاب ما بعد الحداثي أو ما بعد الكولونيالي والحملة التي قادتها أصوات مناهضة للاستعمار (فرانز فانون، ادوارد سعيد،هومي بابا، ايمي سيزار....) وحملت مسؤولية توعية الهامش محاولة إسماع صوته وظهور ما عُرف بالتعددية الثقافية وتعددية الأصوات وهذا ما جعل الأدب المقارن يُغير من ميادين بحثه التقليدية التي فرضتها المدرسة الفرنسية، ومجموعة المبادئ التي كانت السيطرة والتوسع أساسها الأول، كما كانت القوة الاقتصادية والعسكرية والسلطة السياسية لأوروبا الداعم الأول للجانب الأدبي والفكري والخطابات الأدبية التي طرحتها القوى الاستعمارية آنذاك.

"قد يقول –أساتذة الجامعات الذين يقومون بتسويق فكرة التبعية- ما علاقة مفهوم التبعية بالأدب المقارن؟ وهم عادة ما يلجأون إلى نفي علاقة الإيديولوجيا بالأدب، ويعتبرونها تهمة تسيء إلى مفهوم الأدب ومفهوم النص"1 إن الدراسات التي تنادي بعزل الأدب عن الإيديولوجيا هي دراسات في حد ذاتها لها أصل أيديولوجي تبعي للدول المركزية، مناهضة لكل ما هو شعبوي مختلف إنها كما يُسميها عز الدين المناصرة (إيديولوجيا التبعية) "فحين يتعاملون مع النصوص الأورو أمريكية على أنها روائع أدبية عالمية ويرفضون التعامل مع نصوص أدبية قادمة من أوروبا الشرقية والصين واليابان والوطن العربي وأفريقيا، بصفتها انماطا أخرى مختلفة، فهم يقفون عمليا مع إيديولوجيا التبعية، وضد إيديولوجيا التعددية" وإذا كان الأدب المقارن تابعا لهذا التوجه فهو إذن "لا يفرق بين أدب عالمي رأسمالي، وأدب عالمي إنساني"2

ثانيا: أدب أفريقي أم هوية وطنية؟

طالما لعب الكاتب الإفريقي داخل مجتمعه دور السّجل لوقائع المجتمع الإفريقي بعاداته وتقاليده وخصائصه وحتى ثقافاته المتوارثة جيلا بعد جيل والأحداث الحياتية التي ألزمت الكّتاب الأفارقة وحتى المستفرقين التطرق لها والحديث عنها، لكن الوطن كان دائما المحور والمرتكز، هذه أولى الحقائق التي تواجه دارسي الأدب والثقافة الإفريقية، تختلط الأعراق وتمتزج الجنسيات وتختلف الرؤى وتتباين

1-عز الدين المناصرة، النقد الثقافي المقارن، ص 37.

2-المرجع نفسه، ص 37.

الأساليب الفنية وتتشابك العقليات والمذاهب الفكرية، وتتفاوت القدرات ولكن الوطن، تاريخه، حاضره، واقعه المعاصر هو دائما الشاغل الرئيسي لدى الكاتب الإفريقي حيث يستمد الكتّاب الأفارقة من انتمائهم الوطني مضمون أعمالهم بل وفي بعض الأحيان تكون مشاعر الانتماء للوطن والاغتراب داخله وخارجه من أهم القضايا التي طرحها الكتاب الأفارقة ولا يزال هذا الهاجس يطرح في الروايات المعاصرة.

إن وطنية الكاتب الإفريقي تطلبت منه تمجيد ماضي إفريقيا والتمرد على الاستعمار السياسي والفكري في صورته القديمة ومكافحته بكل أشكاله بل والرد على خطابه بخطاب موازٍ يفرض على الآخر الاستماع له والتعرف عليه ويطالبه بتغيير التّكريسات التي طالما تمثّلت في خطاباته، إن سنوات الإعداد للتّحرر الوطني والانعتاق من القيود الاستعمارية كانت بحاجة لكتابات تؤكد الذات الوطنية بالإعلاء من شأنها وتمجيد تاريخها،وإن إفريقيا اليوم تطلب من كتّابها النهوض بحاضرها وبناء مستقبلها بعيدا عن الصراعات الداخلية، بناء متماسكا يقوم على وحدة وطنية فكرية ثقافية، تؤمن بالذات الزنجية وتحافظ على العرقية الأصلية لهذه المنطقة، وتتقبل اختلافها عن الآخر وتطمح إلى الإعلاء من شأن الأنا في شكلها الماضي وإثباتها في الوقت الحاضر وتطويرها في الزمن القادم.

فالأدب الإفريقي نشأ كتمرد على المضمون الإيديولوجي للاستعمار وكان يعبر بأشكال مختلفة، نستطيع القول هنا أنها ثورة الزنجي، تسعى إلى الحرية والاستقلال الوطني وترمي من خلال أدبها إلى التحرر الثقافي والحضاري والفكري للشعوب الأفريقية التي عانت لفترات طوال من صفة التابع، وجاء هذا بالبحث دائما في الماضي الإفريقي لتأكيد جذوره الضاربة في عمق التاريخ واستلهام التراث الشعبي لبناء قاعدة ذاتية متحررة من تكريسات الآخر الأوروبي، وهذا ما ينقذ الحاضر الإفريقي ويسموا بالعنصر الزنجي ويُثبت مكانته الإنسانية أمام المركزي/ الأبيض.

وإذا بحثنا عن مفهوم الآخر **other** فهو "يرتبط بشكل وثيق بالهوية والاختلاف، حيث إن الهوية محددة في جزء منها كاختلاف عن الآخر، "أنا أبيض لأنني لست أسود" وهكذا دواليك، ثنائيات الاختلاف هذه غالبا ما تتضمن علاقة ترتبط بالسلطة، الإدماج والإقصاء، بحيث يكون جزء منها مخولا لأن يمتلك هوية إيجابية، بينما الجزء الثاني منها يكون آخر تابعا. المصدر النظري الأول لهذه الفكرة هي ثنائية السيد والعبد التي قدّمها الفيلسوف الألماني هيجل، بينما المصدر الثاني هو التفكيك الذي قام به ريدا لثنائيات الفلسفة الغربية، وفي كلتا الحالتين، تكون هويات كل جانب من العلاقة ضمن الثنائية

مصاغة معا، السيد لا ينفصل عن العبد، هويات الرجل متشابكة مع هويات المرأة وذاتية الاستعمار الحاكم مصاغة مع الذوات المستعمرة" 1

إن الكاتب الإفريقي يختار الوطن أولا وهذا الاختيار يتركه في كثير من المرات مشردا في المنافي أو خلف قضبان السجون لكنه تحمل عناء هذه القضية وعزم على إيصال الصوت الإفريقي حتى يدرك مبتغاه أو يحل عليه ما حل بكل الكتاب الذين رفعوا راية الوطن والدفاع عن الأنا الزنجية مقابل الأبيض الأوروبي، ربما طبيعة المتغيرات الاقتصادية والسياسية لإفريقيا جعلت من الصعب أن يعبر الكاتب عن همومه الفردية، لأن أكثر همومه إلحاحا هي ما يلح على الجماعة من هموم وهو في قول الكاتب النيجيري "وولي سوينكا": "إن الكاتب الإفريقي هو من الجماعة وأذنها ومعرفتها الخاصة وضميرها عليه أن يظل يقظا متمسكا بهذه الصفات التي تمكنه من إعادة النظر في الأمور ما حوله"2

هي إذن مسؤولية تحملها الكاتب الإفريقي لتحرير الوطن من جميع التبعات الاستعمارية أولا، ثم جمع وبناء الثقافة الإفريقية ثانيا، والتعريف بالحضارة الزنجية القديمة التي حاول التاريخ إغفالها وتجاوزها لأسباب سياسية واقتصادية وحتى ثقافية، تمثلت اليوم خاصة في استنزاف ثروات القارة واستغلال الإنسان الإفريقي وزرع فيه روح العبودية وعدم التطلع لما أكثر من بلوغ إرضاء الأبيض أو السيد/الأبيض.

"إن الرواية في غرب إفريقيا نشأت مرتبطة بحركة التحرر الوطني معبرة عنها لأنها اضطلعت بمهمّات تقديم الصورة الأصلية للواقع الإفريقي والتي تشكل بالضرورة دحضا للصورة الزائفة التي دأب على رسمها الكتاب الأوروبيين وأتباعهم من الأفارقة عن صورة الواقع الإفريقي، تقول الصورة الزائفة أن إفريقيا ليس لها تاريخ ولا ماضٍ حضاري وأن الإنسان الأوروبي هو الذي حمل نور المعرفة إلى هذه القارة المظلمة"3

يرى الباحث في الخطاب الروائي الإفريقي ما بعد الكولونيالي المكتوب بالفرنسية أو الانجليزية أو البرتغالية على حد سواء رغم اختلافها في التناول للواقع السياسي بشكل مباشر، إلا أنها تجتمع في تأكيد الذات الوطنية والانتماء، وكان ذلك عبر محاولة الارتباط بالجذور الحضارية الإفريقية

1-كريس باركر، معجم الدراسات الثقافية، ص 53.

2- وولي سوينكا: الكاتب في الدول الإفريقية، لندن، 1967، ص 18

3-حاج أبا آدم الحاج: دور الأدب الإفريقي في التحرر الوطني، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، د.ت، ص 14.

والاستفادة من التراث الثقافي الإفريقي وماضي إفريقيا، فقد جاء الكتاب الأفارقة ورفعوا دعوة كتابة واقع إفريقيا وما يعانيه الأفراد داخل أوطانهم بعيدا عن الخيال الذي يؤدي القارئ ويبعده عن الحقيقة أكثر ما يقربه منها ثم يدعونه للتمسك بالعرق الإفريقي والدفاع عن الذات الأصلية لهذه الشعوب.

"وهكذا وحيث إن أفكار الزنج ظلت قاصرة حتى منتصف الليل عن الوصول إلى الهدف المرجو وذلك لأن الذي يتوفر في بلادنا بكثرة هو البترول، في حين تشحّ الأفكار فقد فكر الزنج أخيرا في كتابة رسالة إلى أحد الأشخاص البارزين في المجمع العلمي الفرنسي المشهور باسم الأكاديمية الفرنسية...الأسود الوحيد خلال التاريخ الطويل لتلك الأكاديمية المرموقة" 1

وبهذا فإن الكتابة الإفريقية ساهمت بشكل أو بآخر في عملية التحرر الوطني والثقافي لإفريقيا وأسست هذه الكتابات لحضارة أغفلتها الكثير من الكتب وأهملها التاريخ، وكانت العامل الأول لإسماع صوت الإنسان الإفريقي الذي طالما كان يعاني من ويلات المستعمر وقاسى من العبودية على مدى عصور سحيقة، عاشها الزنجي في صمت حتى ألف العبودية وألفته وأنسته أنه إنسان فاعل، يستطيع المساهمة في بناء حضارة إنسانية زاخرة.

ثالثا: تمثلات الهوية في الخطاب الأفريقي:

أصبح مفهوم الهوية Identity "مقولة مركزية داخل الدراسات الثقافية خلال فترة التسعينيات، وهي مفهوم يتعلق بالأوصاف الثقافية للأشخاص...كما تهتم بالمماثلة والمغايرة، أما بالنسبة للدراسات الثقافية، فتعد الهوية إنشاء ثقافيا لأن المصادر الخطابية التي تكوّن مادية الهوية تعدّ مصادر ثقافية بطبعها، وبشكل خاص فنحن مكلون كأفراد داخل عملية اجتماعية يمكن فهمها عادة كمثاقفة"2

كما أن الهويات "تفهم داخل الدراسات الثقافية على أنها أدائية-خطابية، بمعنى أن الهوية من الأفضل أن توصف كممارسة خطابية تحدث وتنتج ما تسميه من خلال اقتباس وتكرار معايير واصطلاحات معينة، ومفهوم الهوية يُستخدم بالأحرى لربط الداخل الوجداني للأشخاص بالخارج الخطابي، بمعنى أن الهوية تمثل عمليات من خلالها يتم إنشاء مواقع للذات بشكل خطابي"3

1-آلان مابانكو، زجاج مكسور، ص 44

2-كريس باركر، معجم الدّراسات الثقافية، ص 382.

3- المرجع نفسه، ص 381.

رواية "في انتظار البرابرة" للكاتب جون ماكسويل كوتزي من جنوب أفريقيا تقدم للقارئ معنى الصراع الداخلي الذي رسمه المحتل في أذهان شعب أفريقيا (خطر البرابرة) السكان الأصليون لأفريقيا، يصور الروائي أفريقيا بطبيعتها وأفرادها وعاداتها فيقول: " الأرض بيضاء بسبب الثلج الذي يغطيها من أفق إلى أفق، غنه ينهمر من السماء التي هي مصدر ضياء منتشر وموجود في كل مكان، وكأنما الشمس قد ذابت في سديم وتحولت إلى هالة، في الحلم، اجتازُ بوابة الثكنات، أمرُّ بسارية العلم العارية، تمتد الساحة أمامي، تنداح أطرافها مع السماء ذات اللون الفضي، جدران، أشجار وخيول تضاءلت وفقدت صلابتها منكفئة فوق حافة العالم" 1

إن الصور التي يقدمها الكاتب الأفريقي تكون غالبا مجموعة من الأحداث التاريخية، أو الوقائع الاجتماعية التي تَشارك سكان أفريقيا فقد شكلت لديهم ارتباطات وجدانية داخل الذاكرة الجمعية، لهذا فإن الزنوجة كحركة ثقافية، "ظهرت من أجل إبراز تميّز الزنجي عن الأبيض، والبحث عن نقاط التقاء بين الزنوج أنفسهم؛ بما يُشكّل هوية محددة لهم، فالهوية الوطنية National identity هي شكل من أشكال التماهي التخَيُّلي مع الدولة القومية، ويعبّر عنها من خلال الرموز والخطابات، ومن ثَمَّ فالأمم ليست مجرد تكوينات سياسية، بل هي أيضا أنظمة من التمثيلات الثقافية... من خلالها تكون الهوية الوطنية مستنسخة باستمرار عبر الفعل الخطابي"2

في البحث عن التاريخ والوجود الأفريقي يقول ج،م، كوتزي : "وعثرت أيضا على مخبأ لقطع خشبية رفيعة مرسومة عليها أشكال بحروف لم أرَ لها مثيلا، كنا قد وجدنا قطعا مثل هذه من قبل، متفرقة كخرق قماش من الخرائب، ولكن معظمها كانت مطموسة الألوان بفعل تأثير الرمال، بحيث أن الكتابة التي عليها تبدو عصية على الفهم... أملا في حل رموز الكتابة بدأت أجمع كل ما يمكنني منها، وألزمت الأطفال الذين يلعبون هنا أن يعرفوا أن عثورهم على واحد منها يعادل دائما الحصول على بنس واحد... كم يبلغ عمر هذه الأخشاب؟ ذلك ما لا أعرفه" 3

وما يُميز المجتمعات ويربطها ليس فقط التكوينات السياسية التي فرضتها أنظمة معينة، بل التكوينات الثقافية والتي تظهر عادة في شكل (حكايات شعبية، أحداث تاريخية، وقائع أسطورية، أغاني محلية،

1- جون ماكسويل كوتزي، في انتظار البرابرة، تر، ابتسام عبد الله، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2004، ص16.

2-كريس باركر، معجم الدّراسات الثقافية، ص 381.

3-ج،م،كوتزي، في انتظار البرابرة، ص 24.

معتقدات اجتماعية....) ما يطبع حس الانتماء الروحي والوجداني على هذه المجتمعات مشكلة بذلك هوية وطنية ثقافية مهما تنوعت هذه الثقافات داخل المجتمع الواحد، وهو ما ميز سكان أفريقيا الشمالية والجنوبية.

يتخذ الكاتب من تقنية الوصف طابعا سرديا مميزا فيصف سحر الحياة في أفريقيا والوصف هنا لغرض الوصف أو ربما لينقل مشاعر السكان، والارتباط المكاني والوجداني للزنجي تجاه موطنه الأم "لا أحد زار هذه الواحات مرة واحدة إلا وقع في سحر الحياة هنا، عشنا في زمن كل مواسم: الحصاد، هجرة الطيور المائية، عشنا من دون أن يفصل بيننا وبين النجوم شيء ما، كان بإمكاننا تقديم أي تنازل، لو كنا قد عرفنا فقط ما هو، كي نواصل الحياة هنا، كانت البلدة جنة على الأرض"1

ويمكننا القول بأن "الهوية الوطنية وسيلة لتوحيد التنوع الثقافي، ومن ثَمَّ بدلا من التفكير في الأمم والثقافات الوطنية ككل، ينبغي أن نفهم الوحدة أو الهوية كنتيجة للسلطة الخطابية التي تغطي الاختلاف، والأمم تتميز بانقسامات داخلية عميقة ومجموعة من الاختلافات، ومن ثَمَّ فالهوية الوطنية الموحدة تكون مبنية عبر سرد الأمة، الذي من خلاله تكون الحكايات، الصور، الرموز، الطقوس، الطقوس تمثل معاني مشتركة للأمة، كما أن الهوية الوطنية تنطوي على تماهٍ مع التجارب المشتركة والتاريخ كما قيل من خلال القصص، والأدب، والثقافة الشعبية ووسائل الإعلام." 2

أن الدراسات الأنتروبولوجية اليوم تؤكد على أن العادات والتقاليد المشتركة داخل أي مجتمع، تمثل الرابط المشترك بين أفراده، فالفرد الأفريقي لا يمكن تجريده من معتقداته القومية أو تقاليده الشعبية مهما غلبت عليه الثقافة الامبريالية-التي كنا قد قدمنا مفهوما سابقا لها- فهو مجموعة من الخصائص الاجتماعية المشتركة التي تجلت في الخطابات السردية لاحقا، فالهوية الوطنية هي مجموع الثقافات المحلية تمظهرت في الإنتاج الإبداعي للأقوام الأفريقية.

1- ج،م، كوتزي، في انتظار البرابرة، ص 218.

2- كريس باركر، معجم الدراسات الثقافية، ص 385.

يبحث الروائي/ القاضي العائد عن تاريخ البلدة " أشغل نفسي بهواياتي القديمة، مصلحا قدر الإمكان صناديق الحجارة التي وجدتها محطمة ومرمية خارجا في حدائق مبنى المحكمة، ألهو مجددا في كشف معاني الكتابة المنقوشة على شرائح خشب الحور, يبدو الأمر صحيحا، مثل إشارة أولئك الناس الذين عاشوا في خرائب الصحراء، يتحتم علينا أيضا وضع سجلات للاستيطان كي تترك للأجيال القادمة، تُدفن تحت أسوار بلدتنا...فما أجده عندما أبدأ بالكتابة ليست حوليات تاريخ القاعدة الأمامية للإمبراطورية، ولا سجلا يبيّن كيف أمضى سكان تلك القاعدة الأمامية عامهم الأخير في تنظيم أنفسهم بينما هم قابعون في انتظار البرابرة."1

إن الهدف الذي رمى إليه فرانز فانون من خلال نقده الشّديد لأفكار حركة الزنوجة "لا يتعلق بإحلال نظام من الأفكار محلّ آخر، وإنما الهدف هو تشكيل "إدراك قومي" يؤدي في النّهاية إلى التحرر القومي، فالحركة الزنجية التي قامت كردّ فعل على معاملة الأبيض لغيره من (الملونين) من خلال أنساق ثقافية وعلى رأسها "نسق العبودية" أي النظر إلى الزنوج كعبيد، ثم استعمار فعلي وهيمنة سياسية واقتصادية وقهر وحرمان وسيطرة علنية نهضت بالقوة من أجل قلب المعادلة والدّفاع عن الخصائص الثّقافية الزنجية، حيث قابلت العنف بعنف مثله"2

أراد فانون من خلال فهمه العميق لحركة الزنوجة ومعرفة ما سعى إليه مؤسسوها من خلال اعتقادهم في الهوية الثّابتة والمتصارعة مع الهويات الأخرى، أن يُعدّل الفكر الزنجي المتعصب، ويحرره من القيود الفكرية التي ظهرت نتيجة العهد الامبريالي.

"كما نرى الأمر ونحن ندعو إلى الإنسانية، إلى الشّعور بالكرامة، إلى المحبّة، إلى الإحسان، لن يكون من السّهل علينا أن نبين أو نبرهن على أنّ الأسود مساو للأبيض، لكنّ هدفنا مختلف تماما: فما نريده هو أن نساعد الأسود على التحرر من التّرسانة العِقَدية التي نمت في قلب الوضع الكولونيالي"3

1- ج،م،كوتزي، في انتظار البرابرة، ص

2- سليم حيولة، استراتيجيات النقد الثقافي، ص،173.

3- فرانز فانون، بشرة سوداء أقنعة بيضاء،تركيب خليل أحمد خليل، منشورات آنبيب ،دار الفرابي ،ط1، بيروت،الجزائر،2004، ص 33

يهدف فانون إلى تخليص الزنجي من نظرته للأبيض على أنه مرجع مركزي بالنسبة له ويريد منه تجاوز العقد النفسية التي شكلت هاجسا،في ظل الأوضاع والعوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي ساهمت في تفاقم هذه العقد، فقد عمل الاستعمار "الأبيض" على بلوغ عقدة النقص والشعور بالضعف والمهانة لدى الزنجي أقصى ما يمكن أن تصل إليه.

يُكون الأوروبيون لاوعيا اجتماعيا، يحدّد نظرتهم للآخر المختلف عنهم من حيث اللّون ولذلك فإنه في هذا " اللاوعي الجمعي للإنسان الغربي، يرمز الزّنجي أو إذا شئتم اللّون الأسود إلى الشر، الخطيئة، البؤس، الموت، الحرب، المجاعة"1

إذا تحدثنا عن الزنوجة فنحن نتحدث مجموعة من الأفراد ربطت بينهم روابط عرقية،تاريخية كما جمعتهم عدة خصائص بيولوجية، ثارت دفاعا عن نفسها وعيا بذاتها وبهويتها وقدراتها، ردا لاعتبار أمتها ضد تمثيلات الآخر المختلف عنها في اللّون.، يرى إدوارد سعيد في كتابه الثقافة والإمبريالية أنّ الزنوجة "هي في أجلى معانيها؛ وعيُ الزنوج بالتّراث الإفريقي واهتمامهم به والذي يرونه جامعا لهم، وموحدا لمجتمعاتهم ومبعث فخر لهم، والعمل النّقدي الذي يقومون به من أجل التّخلص من هيمنة الرجل الغربي الأبيض، قائم على محاولة إنشاء سرديات خاصة به في مقابل ما عمل الغرب على جعله النّموذج المهيمن، حيث "تُشكل سرديات العبيد المحلية، والسّير الذّاتية الرّوحية" 2

إذن فالزنوجة في أصلها ظهرت حركة مقاومة للسّرديات الغربية الطاغية، وجاءت كرد على الخطاب الأوروبي الذي طرحه السرد الحداثي، مشكلا بذلك حاجزا ثقافيا وممارسة كتابية تنفي كل معايير الهيمنة والتسلط التي فرضهما الآخر/الأبيض، محطمة لكل الأنساق الثقافية الغربية في نمطيتها التقليدية ونظرتها لكل ما هو زنجي/أسود/عبد، إذن يمكننا القول عنها أنها حركة نضالية تنطلق من العرقية

1- فرانز فانون، بشرة سوداء أقنعة بيضاء، ص 202.

2- ادوارد سعيد، الثقافة والامبريالية، تر، كمال أبوديب، دار الآداب ط3، بيروت 2004، ص273-274

خاتمة:

-ساهمت الدراسات ما بعد الكولونيالية بشكل واضح وجلي في كشف السّتار عن أصوات الهامش، وطرحت آدابا بديلة في ظل تعددية الأصوات.

- سعى الأدب المقارن إلى تجديد ميادين بحثه وذلك من خلال تبني تخوم الآداب في الدراسات الثقافية المناهضة لكل ما هو مركزي، وانتقل من دراسة النصوص المهاجرة إلى صراع الثقافات والأيديولوجيات.

-جاء الخطاب ما بعد الكولونيالي ليُسمع صوت التّابع، ويسلط الضوء على آداب الشعوب المستعمَرة في مقابل تقويض كل طرحه الخطاب الامبريالي المُتمثل في بلدان أوروبا خاصة.

-ظهرت الزنوجة كحركة ثقافية سعى مؤسسوها إلى مناهضة كل وسائل الاستعمار الداخلي والخارجي، وهدم كل ما كرسته السياسات الاستعمارية على الشعوب الأفريقية المستضعفة.

-قدّم الكتّاب الأفارقة من خلال نتاجهم الأدبي الصورة المغايرة للإنسان الأفريقي في بيئته، محاولين بذلك نفي صورة العبد/ الوحشي، الذي يسعى الأبيض/ المتحضر إلى ترويضه والتعبير عنه.

-أكدت السرديات الأفريقية على التقاليد والعادات واستمرارية الأمة كوجود داخل طبيعة الأشياء، جنبا إلى جنب مع الأسطورة التأسيسية للأصل الجماعي، النقي، أو التراث الشعبي..

تُمثل الهوية الوطنية بناء يتم تجميعه من خلال الرموز والطقوس فيما يتعلق بالأصناف الإقليمية والخصائص الاجتماعية، والمميزات البيولوجية.

-إذن فقد آن الأوان للأفريقي أن يرد على الآخر الأوروبي بلغته التي يوصلها عن طريق مجموع الرموز والطقوس والمشاعر والقيم التي يحملها النص السردي الأفريقي، موجها للعالم عامة، والأوروبي الأبيض خاصة.

قائمة المراجع:

01- ادوارد سعيد، الثقافة والامبريالية، تر، كمال أبوديب، دار الآداب ط3، بيروت 2004.

02-آلان مابانكو، زجاج مكسور، تر عادل أسعد الميري، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، 2014.

03- جون ماكسويل كوتزي، في انتظار البرابرة، تر، ابتسام عبد الله، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2004.

04حاج أبا آدم الحاج: دور الأدب الإفريقي في التحرر الوطني، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، د.ت.

05- دافيد كوت، فرانس فانون، تر،عدنان كيالي، سلسلة أعلام الفكر العالمي المعاصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ط1، بيروت 1971.

06-سايمون لي برايس، تاريخ الأدب والنقد الإفريقي الأمريكي، تر، رضوى عاشور، في موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي،ص 358

07-سليم حيولة، استراتيجيات النقد الثقافي في الخطاب المعاصر"من القراءة الجمالية إلى القراءة الثّقافية" دار ميم للنشر، ط 1، الجزائر، 2021.

08-عز الدين المناصرة، النقد الثقافي المقارن،منظور جدلي تفكيكي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، عمان ،الأردن، 2005.

09 فرانز فانون، بشرة سوداء أقنعة بيضاء،تركيب خليل أحمد خليل، منشورات آنبيب ،دار الفرابي ،ط1، بيروت،الجزائر،2004،

10- كريس باركر، معجم الدراسات الثّقافية، تر، جمال بلقاسم، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 2018.

11-.نبيل أشكروفت وآخرون، الإمبراطورية ترد بالكتابة، النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات، تر شهرة العالم،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2006

12-وولي سوينكا: الكاتب في الدول الإفريقية، لندن، 1967.